75-960931

المورد

مجلة تراثية فصلية • تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع - العدد الرابع - ١٣٩٥ — ١٩٧٥

ألفاظ المحبـة والتعاطف

بقلم
عبدالحق فاضل

كل لفظة لغوية تجري على ألسنتنا لها قصتها التي تحكيها لنا · بديهي أن قصص الالفاظ تختلف من بعض المناحي عن قصص الناس · لكنها تشبه من مناحي أخرى قصص الناس · فاللفظة اللغوية كائن حي مثل الانسان ، متطورة مثله أيضا ، ولها ماض بعيد ، بعيد ، أبعد من ماضي أي انسان · كيف نشأت هذه اللفظة ؟ وكيف تقلبت وتنقلت في مراحل من المعاني والمباني ، قبل أن تصلنا في زيها الحاضر ؟ ان حديث كل واحدة منها عن نفسها أشبه بكتابة المذكرات او السير الذاتية الشائقة ·

ولنستمع في هذا الفصل الى احاديث بعض أفراد اسرة من تيك الالفاظ ، ولتكن اسرة ألفاظ المحبة والتعاطف·(١)

الحنوّ (زنة السموّ) :

أخته (الحنان) · لكن هذه الكلمة الرقيقة العاطفية الاخرى أختها (الأنين) ، بل (الهنين) ·

والأنين لفظة صوتية رَسْيَة ، منشؤها محاكاة صوت أنين المريض المتوجع · أما الأنين الذي نحن بصدده أي الذي أنجب لنا (الحنين) فهو أنين الناقة خاصة ، حين تعطف على ولدها · ونطقوه (الهنين) أيضا فقالوا هنّ هنيناً وهَنَنّاً : حنّ · ومن هذا قيل حنا عليه حنوّاً : عكف ومال اليه · والحنين : الشوق ، ومنه الحنان : الرحمة أو رقة القلب · والذي يدل على ترابط الصلة بين الأنين والحنين على نحو أوضح هو قولهم تأنّيته :

ترضيته ، والهنّانة (بالتشديد) : التي تبكي وتئن ، وهنّ اليه هنيناً : حنّ حنينا ·

وقد طالما ضربوا المثل بصوت حنين النيب (أي النوق) الى فصالها (أي أولادها) · ومن هذا الصوت قيل حنّ فلان : صوّت تصويتاً ولا سيما عن طرب ـ فرحاً أو حزناً او نشوة ·

فهذا المعنى الذي جاء من عطف الناقة على ولدها عند هنينها أو هنينها عند عطفها على ولدها ، انتقل الى الانسانة الام ، ثم عمّ وتشعب · ومن قولهم حنت (بالتشديد) حنيناً على ولدها : عطفت وأشفقت فهي حنون ، نشأ قولهم حنت (بالتخفيف) حنوّا (والحنو زنة السمو) ، فهي حانية ·

لكن من أين جاء معنى الثني واللّيّ في (الحنى) ؟

لما كانت الناقة تعطف ، أي تلوي ، عنقها الطويل على ولدها وهو يرضع فتشمه وتلحسه ، فقد أوحى لهم ذلك الانثناء أن يصوغوا من الحنو معنى النيّ فقالوا حنا شيئاً : عطفه ولواه · فعندها نشأ الحني والانحناء ثم مختلف الصيغ المتفرعة منهما ·

الرّأم :

هذا المعنى ايضا من هبات الناقة ، او لعله من أفضال الظبية البيضاء · والمعجم على أية حال يتحدث عن الناقة نقلا عن الاعراب لانهم انما يعايشون الناقة لايفارقونها · وقد قالوا رأمت ولدها : عطفت عليه ، فهي رائم ورائمة ورؤم ، فهذا مصدر شيوع تعبير (الام الرؤوم) · ثم قيل ترأمته أنت وترأمت عليه : ترحمت وحننت ·

وتناهي المعنى الى العشق فقالوا الرُؤْمة : خرزة المحبة ·

---

(١) لكاتب هذا الفصل بحوث اخرى من هذا القبيل مثل (آثار حيوانية في اللغة العربية) و (اربطة البهائم في لغتنا الثقافية) و (العنف في تسمية الاعضاء) و (الحمال والحبلى والغلام والملح (... الخ ، سبق نشر الكثير منها في كتابه (مغامرات لغوية) وفي مجلة « اللسان العربي » التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب بالرباط ـ التابع لجامعة الدول العربية .

ونحسب رسّ (الرأم) هو صوت النـــاقة او الظبية حين تعطف على صغيرها . شبيها بالمأمأة او الهمهمة ، قد عبروا عنه هناك (هَنَ) وهنـــا بنفظ (رأم) ثم شمل الاسـم الرئمـــة : الظبية البيضاء . ومذكرها : الرئم ، والجمـع : الآرام . وربما جاء (الرأم) من صوت الظباء خاصة لانـه به أشبه ، ثم اقتصر على الظباء البيض بعـد ـ أو قبل ـ أن ينتقل الى النوق .

الرأفة :

حكايتها قصيرة . فمن قـولهم رأمت الأمّ ولدها ، قالوا رأفت به : رحمته أشد رحمـــة ! ومن ثم صيغت الرأفة والرؤوف ..

الرحمة :

الرحمة من الرأم . ولابد ان القارىء الكريم يذكر قولهم آنفاً رأمته ترأمت عليه : ترحمتـــه وحننت عنيه . والرحمة معجميـــا : رقة القلـب وانعطاف يقتضي المغفرة والاحسان . ومنها صيغ الراحم والرحوم والرحيم ، والاخيرة من الاسـماء الحسنى .. ثم الرحمن وهي خاصة بذات الله لاتطلق على سواه .

وما أجمل رحمة الام لوليدها . وقد سجلها لها العرب حتى قبل أن تلده أي مذ كان جنينا بين جوانحها . فيبدو انهم من هذا المعنى سمّوا الغلاف الذي يحوى الجنين فى احشـائها : الرحم (وزان الفكر أو الوقع وهو أشهر) . ثم صارت الرحم تعني القرابة ، وقد كانت أول امرها فيما نعتقـد تتناول الاخوة الخارجين من رحم واحدة ، فى وقت واحد أو أوقات مختلفة .

وبقلب الكلمة نشأ الحَرْم (كالخـــرم) : المنع والحظر ، والحرام : ضد الحلال ، والحرمان : ضد النوال والتمتع ، واحترام الشيء : رعايـــة حرمته أي حقوقه وهيبته ، وما لايحل انتهاكه من شؤونه . وحَرّم الرجل : أهله ، والحريم : ماكان حراما لا يمس ، وما يدافع عنه الرجل ويحميـه ، وعند المولدين المحدثين : نساء الرجل من زوجات ومحظيات . والمحارم : جمع المحْرم (كالمكتب) : المحرّم (بالتشديد) . وبالعراقية كانوا وما زال بعضهم يسمى المرأة (حُرمة) .

وكثيرا ما نسمع او نقرأ (محارم الرجـل) بمعنى من لا يحل له ان ينكحهن مـــن قريباته من النساء وهو أصل المعنى فيما نعتقد نشأت منه كل هذه المعاني وغيرها مما يحفل به المعجم . ذلك بأن الكثير من القبائل البشرية فى مشـــارق الارض ومغاربها تمنع التزاوج بين بعض الاقارب ، ولاسيما زواج الرجل من أمه ، وقد بالغ بعضها فى هـــذا حتى حرمت على الرجل أن يبصر امه فكانت تستر وجهها دائما بحضوره او تفصل الوليد الذكر عن امه منذ الولادة فلا يراها ابدا . وشيء من هـذا التحريم شمل الاخوات وغيرهن من القريبات لدى قبائل اخرى فى المنطقة الجنوبية من المحيط الهادي، وهو ما يعبر عنه بالطابو (taboo) . فلا غروى أن ينشأ عند العرب معنى التحريم من الرحم .

وقبل أن نختم الكلام فى هذا الصدد الخصيب نؤثر أن نعرج على (الرخ) : الطائر الخـــرافي الهائل الحجم ، المشهور . فقد طاب للعـــرب أن أن ينطقوا (الرحم) بالخاء ـ المنقوطة ـ أيضـــا فقالوا رخمته : رحمته ، ورخمت المرأة ولدهـــا : لاعبته ولاطفته ، والرخم (كالصنم) : العطف او المحبة . ثم بدا لهم فقالوا رخمت وأرخمت الدجاجة البيض أو على البيض : حضنته ، فهي راخـــم . فنعتقد انهم من هذا صاغوا اسم (الرخمة) ـ بثلاث فتحات : طائر من الجوارح كبير الجثـة وحشـية الطباع ، وذكرها : الترخوم والترخوم والترخـــم (كلها بفتح الاول وضم الخاء) . وكبر الجثـــة هذا هو الذي بالغت فيه الاساطير على جاري عادتها فخلقت منه ذلك الطائر الوهمي : الرخ . وقديمـا عرفه العرب فيما يظهر حتى أن الفيروزابادي أخذ وجوده أمرا مسلماً به فقال انه « طائر كبير يحمل الكركدن » ! ويوجد الاسم فى الفارسية ايضا ، ولم يقل القاموس هذه المرة ان العربية اقتبسته منهـا شأنه كلما وجد كلمة مشتركة بين اللغتين . لكن الواضح من تأثيل الرخ ان الكلمة عربية المنبـت والمنشأ .

والذي يدل على أن أصـل الرخ طائر عادي معقـــول الحجم ان (rook) لها بالانكليـــزية معنيان ، أولهما الغُداف : غـــراب كبير ضـــخم الجناحين ، وهنا ايضا تواجهنا الضخامة فى وصفه ، وأثله عندهم من السكسونية (hroc) ، وهذا نؤثله من (الرخ) العربي يبدو انه اختلط بالرخمـة . وثانيهما (رخ) الشطرنج وهذا ايضا أثله الرخ العربي .

اما اسم الرخ ـ الطائر الخرافي ـ بالانكليزية فقد تحرف قنيلا فى صـيغتي : roc و rock ، لكنه بقي بنصه العربي فى الصيغة الثالثة : rukh .

العطف :

مازلنا مع عمتنا الناقة . قالوا عطفت عـلى

ولدها : حنت عليه ودر لبنها • اما در اللبن فقد نشأ مرافقا للعطف لانها كالذي قلنا انما تعطف على ذلك العزيز لتلحس مؤخرته عند رضاعه • وقد فسرنا لماذا صار معنى العطف يعني الحني واللَّيّ ، أي من ثني عنقها • واجتمع المعنيان في فعل التعطف مثلا حيث يقال تعطف الشيء تعطفا : انحنى ومال ، وتعطفت على فلان : رققت له وبررته • وانفصل المعنيان : الحنو والشفقة من جهة والحني واللَّيّ من جهة • فالظبية (العاطف) : التي تعطف جيدها اذا ربضت (ولو لم يكن لها ولد) ، ومن ثم قيل عطفت الشيء : أمَلْتَه وحنيته ، والوسادة: ثنيتها • ومنعطف الوادي او الطريق : منعرجه • كما يسقل معنى الشفقة في بعض الصيغ مثل العطوف (بالفتح) : الشغوف المحسن ، وأصل معنى « العطوف » : الناقة التي تعطف على البوّ • أما فعل (عطف) المرء اليه : مال ، فيحمل كلا المعنيين •

ونرى أن أثل العطف هو (العطو) أي التناول • فان قولك عطوت شيئا وتعاطيته يعني : تناولته • والظبي العطو (كالعدو ـ بتشديد الواو) مثلا : الذي يتطاول الى الشجر ليأخذ منه • وتعاطي المرء أمرا : قام به أو خاض فيه • فكأنما كانت تلك الناقة اذ تعطف على فنذة كبدها وقرة عينها ، تعطو اليه أي تتناوله بفمها •

والعطو أثله فعل اعطى ، وهذا أثله : أنطى ـ أندى ـ أدى (من اليد) ـ أد ـ هد حد ـ خذ ـ قد قط (محاكاة صوت القطع) •

الرعاية :

معناها الجاري على الالسنة هو الحماية والصون والحنو •• ويا رعاك الله : حفظك وحرسك ، ورعاية القانون : احترامه والالتزام بأحكامه • وقريب من هذا المعنى الاخير المراعاة • وقيل رعيت النجوم وراعيتها : راقبتها ، واقيمت الحفلة أو تألفت الجمعية برعاية فلان : أي باشرافه أو تشريفه او رقابته وتوجيهه •

وواضح جدا ان هذه المعاني متأتية من الرعي مذ قالوا رعيت الماشية : سرحتها في الكلأ ، ومنها الرعية (كالهدية) : الماشية المرعية (كالمنسية) او الراعية •

وبعد أن انتقل المعنى الى بني آدم ارتقى الى مرتبة الحنان والصيانة والاحترام ، من رعي ذمام ورعاية قانون ، وعدم مراعاة شعور الاخرين • نضيف الى هذا ان الرعية التي قلنا انها تعني الماشية المرعية عندما انتقل معناها الى الانسان صارت تعني عامة الناس الذين يسوسهم حاكم ، أي راع • ومن ثم قيل رعى الحاكم رعيته : ساسها وتدبر شؤونها • ثم قالوا ـ المحدثون ـ هو (رعية) الدولة الفلانية ، وهم (رعيتها) أو (رعاياها) • ومن هذا نشأت (الرعوية) مقابل nationality ـ التي يسمونها غلطا : جنسية • ومنها في العراق (دفتر الجنسية) و (شهادة الجنسية) ، والاصح دفتر المواطنة وشهادة الرعوية •

القرى (كالحجى) :

قِرَى الضيف مشهور عند العرب وهو على رأس قائمة فضائلهم ومفاخرهم التي يباهي بها بعضهم بعضا • والقرى : ما يقدم للضيف ، والماء الذي جمع في الحوض • واصل المعنى فيما يلوح لنا هو القرار والاستقرار ، أي ما استقر من الماء في الحوض ، ثم صار يعني ما جمع منه فيه •

وكان قولهم قرّت الدجاجة او القدر ، يعني أول الامر : صوتت ، وما زال قولهم (قرقرت الدجاجة) محتفظا بهذا المعنى ، ومثله (قرقر البطن) • أما قولهم (قرّت الدجاجة) فقد انعكس معناه فصار يعني معجمياً : قطعت صوتها : والذي يدلنا على صحة مذهبنا في قولهم اولا (قرّت القدر) بمعنى صوتت هو أن المعنى انتقل الى قولهم (قرّت الحية) : صوتت • واما القدر فصار قولك (فلان قر القدر) يعني : صب فيها ماءا باردا • فالصلة الخفية هنا هي أن صب الماء البارد في القدر الفائرة المقرقرة يخمد قرقرتها ، فتقر أي تهدأ • وهذا هو الذي انتقل الى الدجاجة يوم قالوا انها قرت بمعنى قطعت صوتها • ودليل آخر على علاقة القرّ بالقدر هو أن المقاري (كالمعالي) تعني القدور • ونرى ان هذه المقاري هي أثل (المقالي) ، ومنها صيغ (القَلْي) ثم (الغلي) ، ثم تخصص القلي بمعنى طهو اللحم او غيره بالسمن • ومن الغلي نشأ (الغراء) ••

ثم صارت القُرّة والقرارة (بضم قافيهما): ما لصق بأسفل القدر ، ثم أقررت القدر : نزعت ما لصق بها •

ومن معنى هذا الطعام اللاصق بأسفل القدر جاءنا معنى الاستقرار ، ومن قرار القدر الفائرة اذا صببتَ فيها ماءا باردا نجم معنى السكون • فمن هنا وهنا قيل وَقَر (بفتحتين) فلان في المكان او على الامر : ثبت وسكن ، وأقررته

في المكان : ثبته وسكنته ، ووقرت الدابة : سكّنتها ، وأوقرتها : حملتها ثقيلا ، والوقر (كالفكر) : الحمل الثقيل • ويوم القَرّ (كالذّر) : يلي يوم النحر ، لانهم يقرون فيه بمنى • ومن كثرة استعمال الكلمة بمعنى القَرار صارت القرية : الضيعة او المصر الجامع ، ومن ذلك قرية الانصار : المدينة أي يثرب ، والقريتان : مكة والطائف ، وقريت طيبت بالكنعانية (= القرية الطيبة) : قرطبة (وهي Cordova بالاسبانية من Corduba باللاتينية) ، وقريت حديشات بالكنعانية (= القرية الحديثة) : قرطاجة (من Cartago باللاتينية)،ومنهاقرطاجنة (Cartagina تصغير قرطاجة) وتقع في اسبانية • وما هذا الذي نقوله عن هاته القرى الثلاث من استنتاجاتنا وانما هو ما يقوله الباحثون الاوربيون •

وقد كثر استعمال هذه المادة اللغوية الاستقرارية بمعنى المكان المستوطن في العربية (= الجزيرة العربية) ايضا على ما يظهر مثل القَرَى (كالعَزَى) : موضع ، والقراقر (بضم الاول) : موضع بالسماوة ، وقَرّان (كشدّاد) : قرية باليمامة وقرية قرب مكة في مرّ الظهران وقصبة بأذربيجان • ثم قالوا اقترى فلان البلاد وقراها يقريها قرياً : تتبعها وطاف فيها • ومن اجتماع الناس في القرية (البلدة) صارت القارية والقاراة : المكان الحافل بالناس •

ثم يطلع علينا معنى (الوقار) من وقر الرجل : بمعنى ثبت اولاه ثم بمعنى كان رزينا • وفي بعض الدارجات يعبّرون عن الرزين بالثقيل ضد الشخص الخفيف • وشبيه بذلك ان الوقور يسمى بالفارسية (وَزين) • ومن هذا الثقل الذي يظهر انه كان قديم الاستعمال قيل وقّرت الشيخ توقيرا : بجلته عظّمته •

ومن كل ما تقدم نستخلص انهم قالوا قريت الضيف بمعنى أنزلته وأقررته عندك أولا ، ثم بمعى أحسنت القيام بما يلزم له من غذاء وتكرمة •

الوَجْد :

وجدت الشيء المطلوب : أصبته بعد ذهابه • ثم قيل وجدت الامر مبشرا بخير : تبينت انه كذلك • ثم قيل أجد وجعاً في اذني : أي أحس به • ثم قالوا للمريض : كيف تجدك ؟ أي كيف تحس نفسك ؟ وهذه الامثلة ـ عدا الاول ـ ليست من المعجم بل من عندنا ، أي من حصيلة الاستعمال العام من مطالعاتنا في لغة الاولين والاخرين ، كما هي من مطالعات القارىء الكريم ايضا من غير ريب •

ولما صار الوجد يعني الاحساس ولا سيما بالمرض قالوا وجد (كفرح) بفلانة : أحبها حباً شديدا (وهذه معجمية ، وكذلك ما سيليها) •• ومن قبيل الاحساس الداخلي قيل وجدت له : حزنت ، ووجدت عليه : غضبت • وللفعل هذا مصادر هي : الوجد ، وقد تخصص او كاد بالحب ، والجِدة (كالرئة) : الغنى ، والموجدة : وقد كادت تتخصص بالغيظ والحقد •

البِرّ :

هو (بالكسر) : الصلة والخير والاتساع في الاحسان ، والحج والصدق والطاعة وضد العقوق • ومن ذلك بَرّ الولد والديه : أطاعهما، أو أحسن معاملتهما ، فهو بَرّ (بالفتح) •• وبرت اليمين •• صدقت ، وبرره زكاه ، والبَرّ (بالفتح) من الاسماء الحسنى •

يعود الأثل الى البريئة والبريّة : الخلق • ومن هنا قيل برأ شيئاً : خلقه من عدم ، لان نبات البر ينبع من عدم في نظرهم في موسمه • ومن ثم كان البارىء : الخالق •والبرّيّة (بشدتين) : البرّ (بالفتح) أي براح الارض ، وخلاف البحر• وأصل معنى البريئة والبرية أي الخلق ، هو النبات الذي يعج به البر في الربيع • ومن هنا نشأ (البُرّ) ـ بالضم ـ بمعنى القمح ، فيما يبدو ، ولم نجد له أثلا آخر • ونعتقد ان البُرّ أطلق أولا على النبات عامة ، ثم على الحبوب عامة ، ثم على القمح •

فأول قولهم بررت فلاناً كان يعني فيما نرى أعطاه البُرّ أي القمح • وقد بقي هذا العطاء من المكارم حتى لقد فرضه الاسلام في زكاة الفطر • ثم تشقق المعنى فصار يدل بعد الصنة والخير والاتساع في الاحسان ، على : الحج والصدق والطاعة وضد العقوق ، كالذي أثبتته المعاجم • وصارت المبرّة بالاضافة الى العطية : ما يجلب الخير •

الحُبّ :

نعمة النعم ومصيبة المصائب • ولنقتصر في كلامنا منه على الجانب اللغوي • (الأبّ) ـ زنة الصبّ : العشب رطبه ويابسه ، والكلأ ، والمرعى، او ما تنبت الارض ، والخَضِر (كالنضر) • ومن الاب نشأ (الحَبّ) ـ كالضب ـ فيما نعتقد ، مثل الذي رأينا من نشوء البُرّ (كالام) من البَر (كالعم) والبرية (كالقضية) •

وهذا الحَب (بالفتح) هو البزر ، واحدته الحبة • والحبوب تطلق على انواع من الحب كالعدس والحمص والفول •• الخ ، ويبدو انها أطلقت ذات زمان على القمح أي البُرّ نفسه •

وصارت حبة القلب : سويداءه او مهجته او ثمرته ، وهنة سوداء فيه • ويظهر ان هذه الهنة السوداء الشبيهة بالحبة هي الاصل ، ثم عم المعنى على الاخريات من هنات القلب •

والحبحب (كالمرمر) بلغة بعض اقطار المعربة: البطيخ الاحمر ، سموه بهذا تعبيرا عن تذمرهم من كثرة الحب فيه وتفرقه المضجر على غير نظام • والحبب (كالسبب) والحباب (كالضباب) : الفقاقيع تعلو الماء او غيره من السوائل ، لمشابهتها الحبوب • ثم الحباحب (كتماضر) : الشر تقدحه حوافر الخيل (كأنها حبات النار) • ثم اطلقوا الحباحب على الضوء في ذنب ذبابة تطير بالليل كأنه نار ، ثم سموا تلك الذبابة (أم حباحب) ثم سموها (الحباحب) ، على الاكتفاء • ثم صارت الحباحب تطلق مجازا على النار الضعيفة ، ثم قالوا الحجب من النار : اتقادها •

أما الحُبّ (بالضم) بمعنى زير الماء أي الجرة الكبيرة فما هو من هذا الباب وانما له أثل آخر هو عباب الماء ، والعُبْب (بضمتين) : المياه المتدفقة ، واليعبوب (بالفتح) : النهر الكثير الماء الشديد الجري •

نعود الى حَبّنا (بالفتح) أي قمحنا ، فقد بقي من تطور معناه في المعجم قوله حَبّ فلاناً وأحبه : وده ، والشيء : رغب فيه ، وتحابوا : أحبوا بعضهم بعضا • ومعنى هذا في أكبر ظننا ان أصل معنى (حبه وأحبه) هو : اعطاه الحب (بالفتح) أو أطعمه اياه • وهذا من مظاهر العطف والمودة ، ثم صار الحُب (بالضم) والمحبة يعنيان العطف والمودة نفسهما • وقد تعمدنا الاسترسال شيئا في ذكر بعض الصيغ لتبيان بعض الاختلاطات في هذه المادة مبنى ومعنى ، لكيلا نستغرب انتقال معنى الحَب (بالفتح) الى الحُبّ (بالضم) • وزيادة في تفهم التخليط اللغوي نضيف اختلاطة اخرى في (الحُبّة) – بالضم – فهي : عجم العنب ، وهي في الوقت نفسه : المحبوب والمحبوبة • وثمة تطور آخر في دارجات جنوبي العراق حيث يقولون (حَبّها) بمعنى لثمها أي قبّلها ، ومنه قولهم « الفرخ حب ايد ابوه » : لثم الصبي يد أبيه •

هذه الكلمة الانسانية العالمية – الحب – استطاعت أن تسجل وجودها عالميا ، منذ عهود سحيقة لايمكننا تخمينها – ربما منذ بارح الآريون ربوع المعربة • ذلك اننا نجدها قد دخلت اللاتينية بصيغة : lubere ومعموم ان الراء في اللاتينية علامة المصدرية ، اما صلب الكلمة (lube) فنود أن ندلل على نشوئه من العربية قبل التطرق الى انسيابه بمختلف الصيغ والصور في اللاتينية وفي اللغات الاوربية الحديثة • ذلك ان اللاتين بعد انسلاخهم من المجموعة العربية وتطورات كثيرة عرضت لهم وهجرات متوالية عصفت بهم مما أثر في السنتهم – أصبحوا عاجزين عن نطق بعض الاصوات العربية منها صوت الحاء في كلمة (الحب) • وباسقاط هذه الحاء وهمزة الوصل من أداة التعريف أصبحت الكلمة عندهم (لوب – lub) . ولدينا نموذج حديث مطابق لهذا تمام المطابقة ومؤيد لنا في هذا التخريج أحسن التأييد ، هو كلمة العُود (المعزف) التي عجز الانكليز عن نطق العين منها فصارت عندهم بعد اسقاط الهمزة ايضا : (لوت – lute) !

وقد اشتق اللاتين من (lube) تلك صيغا مختلفة منها : Lubido و lubet و libido و libet – وكلهن بمعنى الشوق والتلهف • وانحط المعنى الى الشهوة والشبق بل والفسق والفجور والدعارة ايضا •ولاعجب ففي كثير من اللغات الاوربية يعبرون عن اللقاء الجنسي ، حلالا كان أم حراما أم بغاءا باجرة ، بقولهم (عمل الحب) •

ونجد الكلمة في الايطالية – بنت اللاتينية – بصيغ مثل libidine : شهوة ، شبق ، تلهف ، و libidoso : شهواني ، شبق • لكن صيغة : libeto حافظت على حشمتها شيئا ما فهي تعني الرغبة والعزم والمتعة والنزوة •

ولا ندري عن أي طريق انحشرت كلمة (الحب) بمعناها الاصلي الواسع في الروسية بصيغة : liube ، وفي الالمانية بصورة : lieben ، وما كان يسعنا ان نزعم ان لهذه الاخيرة بالحب العربي لولا استدلالنا بالصيغة اللاتينية •

غير انها تغيرت ملامحها قليلا نسبيا في السكسونية حيث ظهرت في شكل : lufa أما في الانكليزية فهي أقرب من هذه الى الأثل العربي في الكلمة الشهيرة : love . والمؤثلون الانكليز يظنونها من السكسونية ، لانهم لايعرفون لها أثلا آخر • لكننا لانستبعد ان تكون دخلت الانكليزية

عن طريق غير هذه ، فقد وجدنا في بعض المناسبات التأثيلية ان الفاظا غير قليلة في الانكليزية أقرب مبنى أو معنى من نظيراتها السكسونية الى اللغة الام ـ العربية ·

على أن المعاني الفجورية أيضا تسللت الى الانكليزية ـ من libido اللاتينية ـ في بعض الصيغ مثل : libidinous : مستهتر ، فاجر ، داعر ، شهواني ، نجس ·· فيا لسوء المنقلب · وبنفس المعنى نجد الكلمة في الفرنسية بصورة : libidineux .

التعلق :

(عَلَّقتها) عرضاً ، و (عَلِقت) رجلا غيري ، و (عَلَّق) أخرى غيرها الرجل!

وأفعال (عَلَّق) الثلاثة تنطق بالتشديد وبصيغة المجهولية · ويعني ابن ميمون بقوله هذا : احببتها ·· وأحبت غيري ·· وأحب هو غيرها ··

وقصة (التعلق) لا تبرأ من بعض الطول ولاسيما ان للكلمة أخوات : الحِلْف والالفة والكِلاءة والكَلَف ··

ونبدأ الحكاية من (الأَسَل) ـ بفتحتين ـ وهو نبات دقيق الاغصان طويلها تشبه الرماح ، وعلى التشبيه : النبل ، ثم شوك · ومن هذه الاغصان قيل ان الشيء قد أسل أسالة (كنبل نبالة) ، وأسِل أسَلا (كفرح فرحا) : لانَ واستوى وطال وانملس فهو أسيل · ثم قالوا الخد الاسيل·

ثم هم عَنْعَنُوا (الأسل) فنطقوه (العسل)، ونعتقد انه كان يعني (الأسل) أولا ، ثم أسلة النحلة (أي ابرتها) ثانيا ، ثم صار العسل يعني هذا الشهد : لعابها(١) ·

مما يؤيد ادعاءنا بأن (العسل) كان يعني الأَسَل : اطلاقهم (العسّال) ـ بالتشديد ـ و (العاسل) و (أبا عِسْلة) ـ بالكسر ـ على الذئب · ولم يقصدوا بهذه التسميات انه يصنع العسل كالنحل او ان له اية صلة بذلك الشهد ، وانما قصدوا : اللسّاع (بالتشديد أيضا) واللاسع وأبا لسعة ، أي العضاض والعاض وأبا عضة !·· بدليل انهم قالوا (لَعَسَه لعساً) بمعنى عضه ، أيضا ·

واشتقاقهم (اللسع) من (العسل) دليل آخر على أن العسل كان يعني ابرة النحلة أي أسلتها ، ثم صار يعني (اللدغ) ثم (اللدغ) · ومن هذا (النسع) أيضا اشتق ذلك (اللعس) بمعنى العض ·

واللَّعْس (كاللمس) نطقوه بعد ذلك النعَس (كالبلد) فانتقل معناه من الاسنان العاضة الى الشفة فيها سواد مستحب ، ثم قالوا جارية لعساء : في لونها ادنى سواد مشرّبة بالحمرة ·

ثم انتقل المعنى الى المعدة اي ما يدخلها من طعام فقالوا (النَّعْوَس) ـ كالهودج : الخفيف في الاكل الحريص · وسمي به الذئب كذلك « لشراهته » على قول المعجم ·

ومن هذا انبثقت صيغ العَلْس (كالباس) والعُلاس (كالفؤاد) والعَلُوس (كالعروس) : الطعام · والعَنْس (كالرأس) بالعراقية : المضغ· وقالت العرب عَلَسَتْ الابل : اصابت شيئا تأكله · والعلس (بفتحتين) : العدس ، وواضح ان هذا أثله · وهو أي العلس كذلك : ضرب من البُرّ ··

ومن معنى الطعام صار (العِلْوص) ـ كالخنوص والسنور ـ يعني التخمةَ ، والرجل المتخم ، ووجع البطن ·

ومن قولهم (عَلَسَت الابل : اصابت شيئا تأكله) كما تقدم ، قالوا تمنك فلان العلك أو نحو « مضغه · واذا كان المعنى قد توقف عند المضغ هنا في العلك فقد نشأ منه (العلق) الذي تعود فيه الابل مع أكلها الى الظهور ، حيث قالوا ان البعير ونحوه عَلَقَ (بفتحتين) نباتا : رعاه من أعلاه · و (العَلاق) (كالعطاء) : ما تتبلغ به الماشية من الشجر ، ثم ما يتعلل به المرء قبل الطعام · ثم (العليق) ـ كالطليق : علف الدابة من شعير ونحوه · ولما كان علف الدابة كثيرا ما يوضع في مخلاة تُعلَّق برأسها صار معنى (التعليق) : وضع الشيء متدليا من شيء آخر ، وعلقت الشيء بالشيء وعليه : جعلته معلقا به · ويقال بالدارجة العراقية عنقت الشيء : بهذا المعنى ، كما يقال بها علقت للدابة : أعطيتها عليقها ·

فمن أي هذين المعنيين جاءنا التعلق بمعنى الحب ؟

هذه المرة لم يأت المعنى من الطعام شأن الحب والبر ، وانما من التعلق بمعنى النشوب والتشبث· فقالوا عَلِق حبها بقلبه : هويها (ربما مثلما

---

(١) « اليعسوب » الذي خالوه ذكر النحل لكبر حجمه وما هو الا الانثى الوحيدة في الخلية ـ وقد صارت تسمى في مختلف اللغات « ملكة النحل » ـ تظن انه « اليعسول » من « العسل » .

يعلق الوحش بالحبالة او الشوك بالثوب ـ وهما معنيان معجميان) • ثم قالوا عَلِق (كفرح أيضا) بها ، وعَلِقها ، ثم عَلَّقها (بضم فكسر مشدد) وهي الصيغة التي اختارها الاعشى لشرح مأساته الثلاثية ، ولا بأس بتكرار البيت استمتاعا بروعته:

عَلَّقتها عرضا ، وعلقت رجلاً
غيرى، وعَلَّقَ اخرى غيرها الرجلا

كان الله فى عون الثلاثة •• ولا نعلم ما حال الرابعة !••

الأَلفة (كالغرفة) :

تقدم ان العَلَف (كالسلف) : عليق الدابة أي طعامها ، وهو ينطق (العَلُوفة) ـ بالفتح ـ أيضا •

وتطلق العلوفة والعليفة كذلك على « الناقة او الشاة تعلفها ولا ترسلها للرعي » • والشاة العليف : المعلوفة ، والمُعَلَّفة : المسمنة ـ (كلتاهما بالتشديد) •

وربما من الشاة العليف نشأت صيغة (الأليف) بمعنى الحيوان المعلوف فى الدار • يدلنا على هذا ان الثور يدعي بالكنعانية (الفينقية) : أليف ، وهو عندهم ثم عندنا فى بعض الدارجات : اسم الحرف الذي تنطقه الفصحى (الألف) • وقد نطقه الاغريق الذين اقتبسوا الحروف الهجائية من الكنعانيين : (ألفا ـ alfa) • وكان الكنعانيون قد رسموا الثور تعبيرا عن صوت حرف الالف ، بهذه الصورة المبسطة : (A) : المثلث يمثل وجه الثور قد امتد من جانبي اعلاه القرنان • ثم هو يظهر فى اللاتينية مُنْقَنبا هكذا : (A) !

فذلك هو الذي حدا بنا الى القول بأن (الاليف) أتله (العليف) ، ولا سيما ان العرب قالوا لافت الدابة الكلأ : أكلته ـ يابساً ، ولاف المرء الطعام : أكله أو مضغه • ومن تطورات الكلمة النوافة (كالخرافة) : الدقيق يبسط على الخوان لئلا يلتصق به العجين ، وينطقونها فى العراق (لوثة) بالثاء المثلثة •• ما يدل على انها منشأ التلويث فى الفصحى ، أي التلطيخ • ومن اللوث نشأ اللوص واللوق ••

والحيوانات الاليفة العليفة صارت تعني الانيسة ضد الوحشية • فمن هنا قيل ألفتَه (كسمعته) : أنست به وأحببته ، فهو آلفك واليفك • وتآلفوا : الف بعضهم بعضا ووقعت الألفة (بالضم) أي الصداقة والانسجام ، بينهم• والتأليف والتوليف : الجمع ، الا أن (التأليف) كاد يتخصص عندنا بجمع الكتاب أي تصنيفه وبقي (التوليف) على معناه العام •

وبولغ فى معنى الاليف فقيل الألوف : الكثير الالفة ، وقد خلق المتنبي الوفا لو رجع الى الصبا لفارق شيبه موجع القلب باكيا •

التحالف :

الحلفاء (كالحسناء) والحلفة (كالحركة) نبات فروعه محددة الاطراف كسعف النخل والخوص ، ينبت فى غياض الماء •• لاندري هل نشأت من العلف الذي تقدم ذكره ، أم من لوف الدابة للكلأ ، أم من لَحِف شيئا : لحسه (كتاهما كفرح) ، ام من غير ذلكم من هذه الصيغ الموجودة او المفقودة •• لكن الحلفاء على أية حال من هذه الاسرة العسلية •

والحلفاء لينة كالعشب لا صلبة كالسعف والخوص اللذين يشبهها بهما المعجم ، فالشبه مقصور على الشكل بَسْ • وهي تصلح علفا لذواب وخاصة اذا تذكرنا ان السائمة كثيرا ما تطعم حتى ورق الشجر وقد مر بنا ان (العلاق) ـ بالفتح : ما تتبلغ به الماشية من الشجر • فلاغرابة اذن فى نشوء الحلفة من العلف ، ثم تسميتها بالحلفاء كذلك •

ويبدو أنهم قالوا حلف ضيفا وأحلفه (مثل قولهم حبه وأحبه) بمعنى قدم العلف لدابته او قدم الطعام له ـ الضيف ـ اذا كان الطعام قد سمي حلفة او نحوها ، بدليل ان بعض الالفاظ المشتق بعضها من بعض شملت بني الانسان كما رأينا ، وكما سنرى •

ولعلهم قالوا تحالف الرجلان بمعنى تآكلا ، كما لايزال يقال فى العراق وغيره من بعض الاقطار العربية « تواكلوا ، أو تآكلوا خبز وملح ، او تخابزوا وتمالحوا » بمعنى أن هذا التآكل ـ أي المؤاكلة ـ أو التخابز والتمالح ، قد أوجد بينهم ذماما والتزاما بان يرعى كل منهم حرمة صاحبه • فان كان العرب الاقدمون قد قالوا فعلا ي تحالف الرجلان ، بهذا المعنى لانستغرب ان يقول المعجم حالفته : عاهدته ، والحِلْف (كالحزب) : العهد والصداقة • ولما كانوا كثيرا ما يوثقون التحالف بالقسم على الوفاء صار الحلف (كالحرب او الشرس) والأُحْلوفة : اليمين أي القسم • فلهذا أصبح الحلف الذي

قلنا انه العهد والصداقة يعني كذلك : الصديق بحلف لصاحبه لايغدر به ·

الكَلَف (كالخزف) :

قالوا كَلِف (كفرح) بها أشد الكلف (بفتحتين) : أحبها · والرجل المكلاف : المحب للنساء · ولعل منشأ الكلمة من (الحلف) ··

الكِلاءة :

كلاه الله ، وفى كلاءة الله ···

اذا رجعنا الى (الآسَل) وجدنا أن أحد تطوراته قد سلك هذا المسار : أسل ، عسل ، عنس ، علك ، لاك ، أكل ، كلأ ·

وقد سبق أن قلنا ان (العَلْس) يعني المضغ ـ قبل البلع ـ بالعراقية ، ويعني الطعام أي ما يؤكل ويشرب على تعبير القاموس ـ بالفصحى· ثم اختص (العَلْك) ـ كالعرش ـ بالمضغ دون البلع ومنه صيغ (العَلِك) كالحرص ـ الذي يمضغ وبس(١)· والطعام العالك او العَلِك (كالنيق) : المتين المضغة · ومن (علك عنكا) نشأ (لاك لوكا) بمعنى المضغ أيضا · واذا تذكرنا ان العنك الذي يلاك هو صمغ بعض الاشجار التي يعدد القاموس ستة من انواعها علمنا لماذا تظهر صيغة (اللَّك) ـ بفتح اللام ـ بمعنى نبات يتخذون منه صمغا وبمعنى صبغ أحمر تصبغ به الجلود وغيرها · وواضح هنا ان (الصبغ) انما نشأ من هذا (الصمغ) · ثم (اللَّك) ـ بالفتح او الضم : عصارة ذلك النبات ، ثم تفله ، ثم الجلود المصبوغة باللَّك ·

و (اللُّك) ـ بالضم ـ يطلق فى العراق على ما يسمى بالشمع الاحمر ويختم به · ويسمى بالفارسية (لاك) ويعني ذلك الصبغ ونوعا من الصمغ وما الى ذلك ·

وهو بالانكليزية (lac) وبالفرنسية (laque) . ويحسبون أنهما من (لاك) الفارسية مع ان أثلهما كالذى يستنتج بنا هو (اللَّوك) من فعل لاك يلوك، الذي نشأ منه (اللَّك) : الصمغ الذي يلاك أي يعلك ·

كلمة لاك تعني كذلك بالفارسية : اللطخة فى الثوب ونحوه ، يقابلها فى العربية لوف الخوان بالدقيق (من لاف يلوف) بالفصحى ، وتلويث العجين بالطحين بالدارجة العراقية ، ثم مطلق التوث والتلويث بالفصحى ·

ويلاحظ ان الدارجة العراقية تطلق (اللكّة) ـ بالتشديد على اللطخة او الوصمة ، فان كانت هذه عربية أثيلة مما اهملته الفصحى كانت (لاك) الفارسية مقتبسة منها ، والا فهي المقتبسة من هذه الفارسية ·

ومن الكلمتين الانكليزية والفرنسية صيغت lacker فى الاولى و laquer فى القافية بمعنى مادة راتنجية ـ أي صمغية ـ يطلى بها ، وهي كثيرة الشيوع فى الصناعات اليدوية الصينية واليابانية وغيرها من صناعات الشرق الاقصى · ونحسب انها فى الاصل ذلك الصبغ الاحمر (اللَّك) العربي الذي قنا نه تصبغ به الجلود وغيرها ·

على أن الطعام يعود الى الظهور فيطالعنا فى مقلوب (لاك) وغيرهما · لكنه يتخصص لامر ما بغير الناطق حين ينقلب قلبة اخرى ليصير (كلأ) · وقد قالوا كلأت الناقة وأكلأت : أكلت الكلأ وهو العشب رطبه ويابسه · ومنه قيل كَلأ المكانُ وكَلِيءَ : كثر فيه الكلأ ·

فالذي نتخيله انهم قالوا كلأت الدابة : علفتها أي أطعمتها ، وعندئذ غدا كَلْءُ دابة الضيف رعاية لصاحبها من متممات قراه وتكرمته · ومن

---

(١) اي : وحسب . « القاموس ـ بس بمعنى : حسب » .. « ويقال بَسْبَسَهُ : قال له بَسْ » . ورَسْ الكلمة قولهم « بِس بِس » زجرا او دعوة للابل والغنم والستور ، ومن ذلك اطلقوا « البِس » على الهرة ، ربما لانهم يدعونها « بس بس » عندما يريدون اطعامها . ولعل هذا قد ذكر قارئنا الكريم باغنية المرحوم محمد فوزي : « آل لها : بس بس ، آلت لو : نَوْ نَوْ » !.. وتسمى الهرة بالسورية بصيغة التصغير « بسينة » التي تظهر في العراقية بصيغة « بزونة » ـ زنة زنوبة ـ وينطقها المغاربة باللام « بزولة » لكن بمعنى حلمة الثدي. على ان الثدي بجملته يسمى بالسورية « بزاز » ـ زنة بساط . ولا يحسبن القارىء ان هذا من تخليطات الدارجات فالاغلب ان هذه الصيغ كلها او بعضها من مخلفات الفصحى ، نعني من لغة العرب الاقدمين مما اهمله المعجم ، بدليل اننا نجد من بقايا تلك التطورات في المعجم ان « البز » ـ بالكسر او الضم ـ من الحيوان كالثدي من الانسان ، و « الابزاز » ـ كالاجلال : الارضاع ، « البَزْي » ـ كالوصي : الاخ من الرضاع . ونرى ان « بس » هي أقل « حسب » هذه التي نشأت منها بقلب وابدال وتغيير حركة واضافة حرف ، وبنفس المعنى .
ونجد « بس » في الفارسية بمعناها العربي ، وصارت تعني : الكثير ، أيضا . ومنها « بسيار » بمعناها ، و « بسا » : كثيرا ما ، ويا طالما .

يومها أخذ الكَلْء يكتسب معنى الرعاية والحفاظ والحماية ، الى جانب اطعام الدابة .. ولو اننا نرجع ان (الكلء) كان يعني مطلق (الاكل) للضيف او دابته وانهم كانوا يقولون كلأت الضيف بمعنى اطعمته أي قدمت له (الاكل) لا (الكلأ) لركوبته بس .

ومن بعد قيل كلأت الصبي : رعيته وأحسنت القيام على شؤونه ـ وهذا التعريف من عندنا أي من مفهومنا العام ، لا من المعجم . ثم قيل كلأك الله : حرسك وحفظك . وهذا وما بعده من المعجم . ثم قيل اكتلأت من فلان : احترست . ثم أصبح معنى الحراسة والاحتراس سجنا حينما قالوا كَلأته (بالتشديد) : حبسته . ومن معنى الحراسة والاحتراس أيضا ظهر معنى الأرق مذ قيل اكتلأت عينه : سهرت ولم تنم .

الشغف :

المعنى من الشَغَاف والشَغَف (كلتاهما بفتحتين) : غلاف القلب . وكان القلب عندهم بيت العواطف بل والتفكير . أما صلته بالعواطف فلأنه يخفق عند كل انفعالة من فرح او حزن او خوف او غير ذلك ذلكم . وما زال هذا باقيا في تعابيرنا . ثم شمل الفكر والذكاء قديما فقيل : ذكي القلب او الفؤاد . وفي الآية : « ولا خطر على قلب بشر » ـ أي باله .

ومما يدل على ان معنى الشغف نشأ من هذا الغشاء الفؤادي قولهم شغفه الحب : وصل شغاف قلبه ، و « شغفها حبا » : دخل حبها اياه تحت الشغاف من قلبها ، أو غشي قلبها ، او اصاب شغافها . وشَغَف (كفرح) به : أُولع ، والشغف (كالشرف) : أقصى الحب !

ومن الشغف (بالغين المنقوطة) نجم الشَعَف (بالمهملة) . ومنه شعفه الحب : غشي قلبه . وثمة صيغ اخرى من المنقوطة والمهملة متشابهة المبنى ومتقاربة المعنى او متفقته ، منها شغفه ، او اصاف شغاف قلبه . والشعوف : المشغوف ، أي المجنون! وهذا الجنون ماتاه الحب بطبيعة الحال . اما في الفارسية فان كلمة (مشعوف) تعني المبتهج المسرور . وهي من العربية الاسلامية ، لا القديمة ـ الآرية .

واضح اذن ان أثل الشغاف هو الغشاء ولاسيما بعد ان رأينا قول المعجم شغف الحب : غمى قلبه ، فضلا عن أن الشغاف يعني غشاء القلب . والغشاء معجميا : الغطاء ، وغطى من غطس ، من غمس ، من غم ، من غام ..

الغرام :

وما ادراك ما الغرام . هو « الولوع والحب المعذب للقلب » ! ومن شدة لوعته صار يعني كذلك العذاب ، والشر الدائم ، بل والهلاك . فلهذا جاء في الآية عن جهنم : « ان عذابها كان غراما » .. فليس المقصود بطبيعة الحال ان عذابها كان حبا وهياما ، لكننا نستطيع ان نقول عن الحب بكل اطمئنان ان عذابه ايضا كان جحيما .

أثله جرمت الشيء جرما : قطعته . نعتقد انه صار بعد ذلك يعني العطاء والاداء أو الالزام بالاداء اقتطاعا من المال ، شأن قولك : جدوت عنيه : اعطيته الجدوى اي العطية ، وأثل الكلمة (الجَدّ) أي القطع أيضا .. ومثل قولك قذمت له من المال او قثمت أو غثمت : أعطيته جيده .

ونجد في الدارجة الموصلية قولهم (تجرمت حق الشي) : غرمت ثمنه ، وجرمته (بالتشديد) : ألزمته بالأداء . وفي الفارسية (جريمه) : غرامه ـ وهي كذلك من العربية الحديثة أي الاسلامية ، لا القديمة .

اما (التجريم) في المعجم فهو : اتهامك الشخص بجريمة ، وقد زال منه معنى الالزام باداء التعويض عن الضرر الذي احدثته الجريمة ، لان (التغريم) المشتق منه هو الذي اختص بهذا المعنى فقالوا غرمته (بالتشديد) وأغرمته الدين : ألزمته بادائه ، وغرم (كفرح) دينا أو دية : أداهما . والغرامة : ما يلزم أداؤه . ولما كانت الدية كذلك في كثير من الاحيان تعويضا عن جريمة او أضرار ولو عن غير قصد ، فقد ارتد معنى الاضرار والاساءة الى مادة (جرم) فصار قولك جَرِم (كفرح) وأجرم واجترم ، يعني اذنب أي اجترح ذنبا . ومن ثم صار التجريم يعني اتهامك الشخص بجريمة بالفصحى ، وتغريمكه بالموصية ـ ما يدل على ان المعنيين كانا مستعملين في وقت معا عند قدامى العرب .

ثم قيل تغرّم : تحمّل وتكلف الغرامة . والغرامة والغُرْم (بالضم) : ما يلزم اداؤه من المال . ولما كان المال عزيزا يشق على بعضهم بذله حين يكون حقا واجبا صار معنى الغرامة والغرم : ما يعطى المال على كره ، أيضا . ثم صار المعنى الى ما هو أسوأ من ذلك حين قصدوا به : الضرر والمشقة علاوة على ما تقدم .

وطفق المعنى يمعن في التطرف والقسوة حتى بات (الغرام) يعني : العذاب والشر الدائم ، والهلاك ، كما تقدم . فعندما بلغ هذه الدرجة من

الكمال أطلقوه على الولوع والحب المعذب للقلب .. الذي عذابه كان غراما ، كجهنم .

التـــدلّه :

اذا قلنا ان للدلالة صلة بالدلو لم تصـــدق ذلك . ولا عتب عليك ، فحتى أمير شعراء الجاهلية لم يخطر على قلبه شيء من ذلك يوم قال :

أفاطم مهـــلا ، بعض هذا (التدلّلِ)

وان كنت قدازمعت صرمي (فأجملي)

ولا هو تفطن الى ان (الاجمال) و (الجمال) من (الجمل) الذي كانا يعتليان سنامه حين قالت له وقد مال الغبيط بهما معا : عقرت بعيري يا امـرأ القيس ، فانزل !

نعم لعمري ، لقد قالوا قديما دلوت وأدليت : أرسلت الدلو في البئر . وما فتئوا يطورون المبنـى والمعنى حتى جاء يوم فقالوا (تدلى) بمعنى : تدلّل ! لكن طريق هذا التطور لم يكن بهذا اليسر والاختصار . وانما قالوا أولا تدلل الشي : تهوّل ، ثم تدلـدل في مشيته : اضطرب واهتز . ومن هنـا سـمي الدُلْدُل (كالجلجل) ، هو حيوان على ظهره مثل النشاب واحدتها بطول نحو الشبر يرشق بهـا عدوه كالسهام . بذا سمي لان سهامه تتدلى عـن جانبيه حين يمشي أو يهرول هابط الرأس كالمذنب الهارب . (١) ومن اضطرابه واهتزاز سهامه صار (التدلدل) في المشي يعني : الاضـطراب ومعـه الاهتزاز كما تقدم . ثم قيل دلدل اعضاءه او رأسه : حركها في المشي . ومن ثم قيل دَلّ دلالا (زنـة خب خببا) بمعنى : تلوى . ولما كانت الحسـناء تلوي جيدها الجميل حين تتغنج غدا هذا الدلـل يعني الغنج أيضا . ثم قالوا دلت المرأة وتدللت على زوجها (وعلى غيره ايضا في بعض الاحـوال) : أظهرت جرأة عليه في تلطف كأنها تخالفه وما بها من خلاف ــ على تعبير المعجم .

وهنا قالوا (تدلّى) بمعنـى (تَدَلّل) ، هوي علاقة نفطية ، تشبه قول م تخَطْرَى بمعنـى تخطّر ، وتظنى بمعنى تظنن . أي أن التدلي بمعنى الدلال غير التدلي بمعنى التهول .

الدَلَح :

ومن ذلك (الدلال) نشأ في الدارجات (الدَلَح)

وهو يعني بالمصرية الدلال نفسه ، والتـــدليح : التدليل . وبالموصلية دلعت الولد : جرأته بالتدليل أو حسن المعاملة فأفسدته فهـو (مدلـوع) ، و (اندلع) : انطلق على هواه غير مطيع لامـر أو توصية . وهذي هي (الدلاعة) بلغتهم ، أي أهل الموصل .

ولايعترف المعجميون بهذا المعنى لانهم لـم يجدوه في لغات القبائل المعتمدة لديهم . لكننا نعتبر هذا المعنى أصيلا لاننا نجده في الالفاظ المعجميـة المنبثقة من (الدلع) . فمن قولهم (اندلـع) اللسان : كان طليقا ، قالوا (اندلق) السـيل : اندفع ، و (انطلق) الشيء : انفلت او تسيّب .

والدلع بذلك المعنى الصبياني منشؤه فعـل تدلل تدللا ، وأول ادلالا عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه واجترأ . ومنه قولهم أدلّ فأملّ (بتشـديد لاميهما) .

ومما يزيدنا تأكدا من أن معـاني الاندلاق والانطلاق قد عادت على الاندلاع نفسه قول المعجم دلع (كضرب) فلان لسانه وأدلعه : أخرجه مـن فمه ، واندلع السيف : انسلّ من غمده ، واندلع البطن : عظم واسترخى .

فهذا هو الدلال اذن في أصل معناه ، أولـه تهوّل واضطراب واهتزاز وآخره تسيّب وانطلاق .

وانتقل دلال المرأة الى الجانب الاخـر اي الرجل ، بالمعنى الذي يناسب رجولته اي العشـق والافتتان حين اشتقوا منه صيغة اخرى في قولهم دلّهه العشق تَدْليهاً : حيره وأدهشـه ، وهـو مدلّه ودااه : ذاهب العقل من عشق ونحوه . ومن « نحوه » هذه أصبح المعنى واسعا فضفاضا وعاما حتى قالت المعالم دَلّه الرجل (بفتحتين) : ذهب قلبه من هم ونحوه ، أو تحيّر . أي ان معنى العشق يظهر من الاسى تارة كما هي الحال في الغرام وتارة يظهر معنى الاسى من العشق كما هي الحـال في التدلّه .

وكسعوا اللفظة بالميم فقالـوا الوَلْهَـم (كالضيغم) : المدلّه العقل من الهوى .

التَوَلّـه :

ونطقوا (الدله) بالواو أيضا فقيل وَلِـهَ (كفرح) وولِه (كوعد) وتولّه (كتوعد) : تحير من شدةالوجد ، ثم : حزن شـديدا حتى كـاد يذهب عقله !.. فهو واله وولهان .. المسكين .

---

(١) بالوصلية يسمى « الدحلج » من أثل « دحرج » لانـه يبدو عند ركضه متدلولا مترجرجا كالمتدحرج فعـلا ، وبعضهم يدعوه « دحلج » .

التولـــع :

ثم خفت حدة المعضلة شيئا فى قولهم ولـــع ولوعا (كشهد شهودا) وتولّع تولعا بها : أحبهـا وعلق بها شديدا ـ دون أن يذكروا أن في الامـــر تحيرا وحزنا وذهاب عقل ..

الهيـــام :

آم يؤوم أوماً : اشـــتد عطشـــه ، والاُوام (بالضم) : العطش أو دوار الرأس . وهام هِياماً: عطش ، وعلى وجهه : ذهب لايدري اين يتوجـه . وهام بالشيء أو بالشخص : أحبه . لكن المعنـــى كان حب الانسان ثم الشيء ، بدليل أن الهُيـــام (بالضم) : شدة العطش او الجنون من العشق .. ولو اننا شخصيا نتوهم أن جنون العشق ما تأتى من شدة العشق لغويا ، وانما من ذهاب العاشـق لايدري اين يتوجه ،أيمن قولهم هام على وجهـــه هيما وهيوما وهياما وهيمانا وتهياما ..

ومن هنا صيغ (اليَهْم) ـ كالسهم : الجنون، و (الأيهم) : المصاب فى عقله . ثم ظهر معنى المظلم في قولهم ليل آيهَم : لانجم فيه ، ونحســب أن المراد : لايهتدى فيه بنجم ، بدليل أن (الهماء) : الفلاة لاماء فيها « ولا يهتدى الى طرفها » ، وهـي التي قال فيها أبو الطيب : « تكذب فيها العـــين والاذن » !

الهوى :

هَوَى (زنة نَوَى) فى الارض : ذهـــب فيها ، وهوى الرجل : سقط من علو . ولا نظـــن معنى الحب قد أتى من هذا السقوط بل من ذلـك الذهاب فى الارض،وهو أثلا من الهيام والهيوم ...

وبولغ فى معنى العشق فى (الهوى) وظهـــر منه (الهوس) : طرف من الجنون ، وخفة العقل. و (الأهوس) : من به ذلك . ومن هذا الباب قولهم هَوِس (كفرح) القوم : وقعوا في حيرة واضطراب وفساد ، ثم هاشوا هوشا (كصـــاموا) : بنفس المعنى تقريبا .

و (الهوسة) بالعراقية : التظاهرة مع الهتافات التي تكون فى العادة شطرا او بيتا من الشعر العامي يرتجل عفو الخاطر ، وقد يرتجل منها اكثر مـن هتاف من جانب اكثر من شخص واحد . تقابلها فى الفصحى (الهوشة) ، ولا ندري أيتها أثل الاخرى .

ويبدو ان (الأهوس) الذي قلنا ان به طرفا من الجنون هو الذي أنجب لنا (الأهوج) : الطويل فى حمق وطيش ، و (الهوجاء) من الرياح : التي لاتستوي فى هبوبها وتقلع البيوت ! (يقصدون بيوت الشعر اي الخيام ولابد) . ونشأ (الهياج) حين قالوا تهوج الحر تهوجا : تهيج تهيجا .

فأية كلمة أجدر من (الهوى) الذي تفجر عن كل هذه الاضطرابات بأن يكون معناها الحب ؟

وقبل الانتقال الى مصيبة اخرى من مصـائب هذا الحب نذكر ان هذا (الهياج) قد هـاجر الى اللغات الاوربية قديمها وحديثها .

نجد في اللاتينية اولا فعل (هاج) بصيغة : ago ومنه agitatio : سريع التهيج (مثل الأهوج بالعربية) ، و agito : هياج الريح فى البحـر (مثل الريح الهوجاء بالعربية) . وهذا يدل عـلى قدم الكلمة فى العربية وقدم ترحلها من المعربة ربمـا مع الآريين .

واذا انتقلنا الى الاوربيات الحديثة من جرمانية ولاتينية وجدنا الكلمة تسرح وتمرح فى معاجمهـا ، ونكتفي بالتطرق الى لغتين من كل من المجموعتين .

فمن الطائفة اللاتينية نذكر الايطالية لنجد فيها agitare : تهييج ، و agitatio : مهتاج : وصيغا اخرى . ثم الفرنســية وفيهـا التهييج : agiter ، والمهتاج : agité .

ومن الفئة الجرمانية نذكر الانكليـــزية حيث التهييج هو : agitating والمهتـــــاج : agitated .. ثـــم الالمانيـــة حيث التهييج : agitieren ...

أما صيغة الهياج التي مرت بنا فى اللاتينيـــة (agitatio) فقـد كسـوها بالنـــون فصـــارت agitation فى كل من الالمـــانية . والانكليـــزية والفرنسية ، agitazione فى الايطالية .

على حين ان المهيّج المشـاغب (agitator) باللاتينية بقيت بنصها وفصها في كل من الانكليـزية والفرنسية ، وبتحـريف يسـير في الايطاليـــة (agitatore) وفي الفرنسية (agitateur) .

المتيمّ :

ومن الهيام (كالصيام) : العطش وذهـــاب المرء لايدري أين يتوجه ـ نشأت يهماء المتنبي التي

سلف ذكرها • والهيام نطقوه (التهيام) أيضا ، ومنه نشأ (التَهَم) ـ بفتحتين : شدة الحر • وقد جاء هذا من شدة حرّ (اليهماء) وكل فلاة عرفوها • ومن هذا المعنى اطلقوا اسم (تهامة) على مكة لشدة حرها ، ثم على منطقة جنوبي الحجاز • ولما كانت تلك الرقعة محاذية للبحر وراكدة الريح في بعض الاماكن والاحايين صار (التهمم) يعني ركود الريح أيضا ، والتَهَم والتهمة والتَهَمة (كلتاهما بفتحتين) : الارض المتصوبة الى البحر • ومن ركود الريح وشدة الحر ورطوبة البحر نشأ في اللحم والدهن معنى تغير الرائحة والزهومة • ولنلاحظ هنا مستعجلين ان فعل (زهم) اللحم او الدهن قد نجم من فعل (تهم) •(١)

والأرض (التَيْهاء) ـ كالغيداء : تصل الناس كثيرا ، ومنها (تاه) المرء تَيْها (بالفتح) وتَيَهانا (بفتحتين) : ذهب متحيرا أو ضل •

والتَيْماء (بالفتح) : الفلاة ••

فمن مجموعة هذه المعاني التي تتأثل ألفاظها من (الهِيام) (بالكسر) والتَهيام (بالفتح) : ذهاب المرء لايدري اين يتوجه ، والهُيام (بالضم) : شدة العطش او الجنون من العشق •• نشأ قولهم تامه الحب تيما ، وتيمّه (بالتشديد) عبّده وذلله ، والتَيْم (كالغيم) : ذهاب العقل وفساده •

* * *

رأينا كم من مرات اقترن العشق بالجنون وفساد العقل • ولكنا جديرا بنا ان نقول : فهل من معتبر ؟•• لولا أن الاعتبار يتطلب سلامة العقل لا ذهابه وفساده ، ولولا أن ابن الفارض خلّط الامر تخليطا حين قال :

هو الحب •• فاسلم بالحشا ، ما الهوى سهل
فما اختاره مضنى به وله عقل !

فهو أولا ينصح بعدم اختيار الهوى ، وما يختار الا عاقل قادر •• ثم هو يعترض انه ما اختار الحب مدنف له عقل ! لكن شوقي يتداركنا واذا بالامر يستقر والرؤية تتوضح وتتحدد ، فذلك حيث يقول ، أي شوقي :

يا لائمي في هواه والهوى قدر ••

(١) معجم « المنجد » لا يفهم منه نشوء اسم مكة من شدة الحر ، لانه لا يذكر الحر ولا ركود الريح ولا تصوب الارض الى البحر ، بل يدرج اسم مكة وفساد اللحم مع تغير رائحته ـ وحسب .